الحضارة الإسلامية

تمر الأمم بتقلباتٍ تشبه تقلبات الفصول الأربعة ما بين ربيعٍ وخريفٍ وشتاءٍ و صيفٍ، وكذلك حضارات الشعوب تخضع دائماً إلى حسابات البدء والاستمرار فإذا كان البدء يرتكز على ما تقدمه هذه الحضارة للبشرية من معطياتٍ تخدم تطورها وتقدمها وتحافظ على ارتقائها ، كان استمرار هذه الحضارة حتمي البقاء بإذن الله ، فإن زالت المعطيات زال معها وهج هذه الحضارة وانزوى إشعاعها ولنا المثل في حضارات سادت ثم بادت إسلامية وأعجمية؛ ومازالت آثارها باقية تدل بكل وضوح على ما كان لتلك الأماكن من رقي وحضارة حسب معايير زمانها حتى إن ذكرها يمر عبر صفحات التاريخ وكأنها خرافات يحكيها الأجداد كما في حضارات بابل وسور الصين وأهرامات الجيزة وغيرها الكثير.

والحضارة الإسلامية في الأندلس وبلاد الرافدين وبلاد الشام عامة والجزيرة العربية وكلها قامت على مبادئ وأسس دينية كبيرة تحكم نظامها وتحافظ على استمرارها وبقائها مادامت تقوم على النهج الصحيح ؛ فإذا ما اختلت موازين الحياة وحادت الحضارة الإسلامية عن الطريق الصحيح فسوف تنهار في يوم من الأيامٍ ؛ وهذا ما حصل لكثير من الحضارات التي تهاوت وأصبحت أثراً بعد عين وذلك بسبب مبالغة الحكام والشعوب في الترف والنعيم والبذخ الزائد وتفشى بينهم كفر النعمة ؛ معتقدين دوام النعمة متجاهلين أنهم غير مؤاخذين بكل ما يفعلون حتى انقلبت تلك الحياة المرفهة إلى بؤس وشقاء وضعفٍ وهوان على أهلها فلم نجد لهم من أحد ولم نسمع لهم ركزا ، فذهبوا ضحية فساد مترفيها (وَإِذَآ أَرَدْنَا أَنْ نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَآ مُتْرَفِيْهَا فَفَسَقُوْا فِيْهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيْرًا(١٦))[1].

---

(١) سورة الإسراء .